6- الحداثة الشعرية في الجزائر

لم يخرج الشعر في الجزائر عن أنموذج قصيدة الشعر العمودي ذي الشطرين حتى سنة 1954، غير أن ذلك لا يعني عدم ظهور بعض محاولات التحديث، فقد كانت لدى الشاعر **رمضان حمود** (1906-1929) مبادرات إلى الخروج عن إطار الشعر التقليدي حينما كان متحمسا لمفهوم الشعر الذي تبناه ودعا إليه أدباء مدرسة الديوان، متأثرين فيه بتعريف الناقد الفرنسي (شابلن) بأن الشعر هو ((النطق بالحقيقة، تلك الحقيقة العميقة الشاعر بها القلب، والشاعر الصادق قريب من الوحي))[1]، وقد بلور **رمضان حمود** هذا المفهوم في قوله:

فقلت لهم لما تبادر قولهم: ألا فاعلموا أن الشعور هو الشعر[2]

وقد كان الشاعر **حمّود** مولعا بأدب **فيكتور هيغو** و **لامرتين**، و كان متأثرا بفكرة أن لا دخل للوزن والقافية في تحديد ماهية الشعر، لكنه لم يستطع تدعيم آرائه النقدية والنظرية بنماذج إبداعية فنية متحررة تماما من قيود الوزن، فيما عدا بعض المحاولات من الشعر المرسل كقوله:

بكيْتُ ومثلي لا يحق له البكا   على أمة مخلوقة للنزول
بكيت عليها رحمةً وصبابةً   و إني على ذاك البكا غيرُ نادم
ذرفْتُ عليها أدمعا من نواظر   تُساهِرُ طولَ الليل ضوءَ الكواكب[3]

وكان يمكن لدعوة **رمضان حمود** أن تجد صداها لدى شعراء مجددين في الجزائر لكنها انتهت بوفاته وهو في عنفوان شبابه، كما أن شدة تضييق الاستعمار الفرنسي على

[1] رمضان حمود: بذور الحياة، تونس، ط1، 1928، ص: 103.
[2] المرجع نفسه: ص: 104.
[3] محمد الهادي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ص: 173.

الحريات وعلى الأفكار ذات الصلات القومية حالت دون استمرار هذا النهج التحرري، على عكس ما كانت عليه حال الظروف في المشرق من تفتح على التجديد، ولهذا لم يكن لدعوة الشاعر رمضان حمود أي أثر في زمنه أو بعده.

وبقي حال الشعر في الجزائر كما هو حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، التي تركت أثرها العميق في أنفس الجزائريين بالحزن والأسى على آلاف الضحايا التي خلفتها مجازر 8 ماي 1945، فتحولت لغة الشعر إلى المناجاة والتأمل العميق وتبادل الأحاسيس مع الطبيعة كما نجده في هذا الأنموذج للشاعر عبد الكريم العقون:

ها أنا اليوم قد وقفت أناجيـ ـك أيا بحر فاسمتع لنشيدي
فكلانا في موفق نتناغى بأغـانٍ سحـريةِ التـرديد
إنك اليوم مؤنسي و سميري ونجيّي في قفر هذا الوجود
سكنَتْ روحيَ الحزينةُ وارتا حتْ إلى حسنك البديع الفريد

ويلاحظ في ذلك بعض التأثر بالتيار الرومنسي، بخلاف ما كان عليه حال الشعر أثناء الحرب وقبلها من المحافظة على أنموذج الشعر العربي القديم في لغته وموسيقاه وصوره، وبقي على صورته الموروثة في ميله إلى الطابع الخطابي والحكمي، كما هو الحال في شعر الشيخ عبد الحميد بن باديس ومحمد العيد آل خليفة وأحمد سحنون.

الشعر الحر في الجزائر

لقد كان الشعر الجزائري مرتبطا بالحركة الوطنية في معظمه، وظل يؤدي دوره في المحافظة على ثوابت الشخصية الوطنية ضد محاولات المسخ والتغريب التي ينهجها المستعمر، فكان الشعر وسيلة للتمسك بالقيم والأصالة والموروث الفكري، ولم تتهيأ للشعراء الجزائريين ظروف الاطلاع والتقبل للآداب الأجنبية كما هو الشأن حينئذ لدى أدباء المشرق، لأن تلك الآداب مصنفة في أذهان الجزائريين ضمن صورة المستعمر الظالم، بالإضافة إلى ما كانت تعانيه معظم طبقات الشعب من الأمية...، لذلك كانت بوادر كتابة الشعر الحر من خارج الجزائر، وتجسدت عن طريق الشاعر **أبي القاسم سعد الله** الذي كان طالبا في تونس حينما نشرت له جريدة البصائر أول قصيدة

حرة في عددها (311) الصادر يوم: 25 مارس 1955 بعنوان (طريقي) التي يقول فيها:

يَا رَفِيقِي
لا تَلُمْنِي عَنْ مُرُوقِي
إِذْ أَنَا اخْتَرْتُ طَرِيقِي
وَطَرِيقِي كَالحَيَاة
شَائِكُ الأَهْدَافِ مَجْهُولُ السِّمَاتْ
عَاصِفُ الأَرْيَاحِ وَحْشِيُّ النِّضَالْ
صَّاخِبُ الشَّكْوَى وَعِرْبِيدُ الخَيَالْ

أما الظروف التي أدت إلى ظهور هذا النوع الحداثي من الشعر في الجزائر فمتعددة: منها **مأساة نتائج** الحرب العالمية الثانية وما خلفته من يأس في الأنفس، **ونكبة فلسطين** عام 1948 بقيام الكيان الصهيوني، و**قيام الثورة** التحريرية الكبرى 1954، الأمر الذي حَفَّزَ دوافع التمرد لدى الشعراء على واقع الثقافة والشعر، ومكّنَ لظهور روح الرفض لكل قديم، فكانت صور التعبير الشعري الحداثي الأول من فئة الطلبة الجزائريين خارج الوطن، لأن ظروف الحياة في تونس أو المشرق كانت أفضل بكثير مما كانت عليه في الجزائر مثل التعرض للاعتقال أو الإقامات الجبرية، كما أن وسائل النشر ساعدتهم في الاطلاع على التيارات الفكرية الحداثية الجديدة، ومكنتهم من الإبداع بحرية، فبرزت في هذه الفترة إبداعات كل من الشعراء: أبي القاسم سعد الله وأبي القاسم خمّار، ومحمد الأخضر السائحي، ومحمد الصالح باوية.

لكن معظم نشاط هؤلاء الشعراء كان موازيا لفترة الثورة التحريرية، وما أن افتك الوطن حريته حتى خَفَتَ صوت الشعر، وضَعُفَ إنتاجه بأسباب مختلفة منها انهماك بعض الشعراء بالوظائف الإدارية، ومنها هجرة بعضهم في بعثات دراسية إلى بلاد الغرب مثل أبي القاسم سعد الله الذي هاجر إلى أمريكا وتحول عن الأدب إلى دراسة التاريخ، ومحمد الصالح باوية الذي انتقل إلى يوغسلافيا لدراسة الطب لمدة عشر

سنوات ثم عاد في عام 1969، وأصدر ديوانه (أغنيات نضالية) الذي تضمن قصائد في الشعر الحر ذات مستوى جيد.

وتشكلت بعد ذلك مرحلة جيل جديد من شعراء الحداثة في الجزائر بين من اختار شعر التفعيلة ومن اختار قصيدة النثر كأمثال عبد الله حمادي، وأحمد حمدي، وأزراج عمر، وأحلام مستغانمي، وحمري بحري، وعبد الحميد بن هدوقة، وجروة علاوة وهبي، وعبد الحميد شكيل، وبوزيد حرز الله، وعز الدين ميهوبي، ويوسف وغليسي، والأخضر فلوس، وعبد الله العشي، وسليمان جوادي...

قصيدة (الهايكو):

(**الهايكو**) تركيب لغوي ياباني الأصل، متكون من مقطعين: (هاي) وتعني (كلمة)، و(كو) وتعنى (مضحكة)، ويتكون هذا النوع من أسطر محدودة لا تتجاوز السبعة غالبا، ويشترط فيه أن يحتوى على ما يدل على الموسم الفصلي من العام، ويعتمد في قراءته على شئ من الذكاء، ويعتبر الشاعر الفلسطيني عز الدين المناصرة مؤسس (الهايكو) العربي، ومن أشهر الشعراء الجزائريين المتأثرين به: عاشور فني، وفيصل الأحمر، وحبيبة محمدي، وقد أصدر الشاعر **عاشور فني** ديوانَيْهِ (أعراس الماء) عام 2003، و(هناك بين غيابين يحدث أن نلتقي) عام 2007 ، الذي تضمن عدة نماذج من هذا اللون الجديد كقوله:

نِهَايَةُ الصَّيْف

هَبَّةُ هَوَاءٍ بَارِد

تَكْنِسُ بَقَايَا الصَّيْفِ

عَلَى الشَّاطِئ [4].

انتهى

[4] عاشور فني: هناك بين غيابين يحدث أن نلتقي ، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص: 3.